كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن الكريم

يصـــدرها

الاتحاد العام لجماعة القراء

العدد الثالث	ربيع أول سنة ١٣٦٨ يناير « ١٩٤٩	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

فضائل القرآن الكريم

اهتمام القرآن باصلاح النفوس

سخاوة النفس

. قال الله تعالى فى كتابه الكريم « وآت ذا القربى حقـــه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً »

عنى القرآن الكريم بإصلاح النفوس من داء الشح الذى اعتبره الإســلام مرضاً مهلكا للفرد والمجتمع . والواقع أن الحرص على المال من طبيعة النفوس ، فهى تميل إلى البخل ، ولا بد لتطهيرها من هذا الوباء من علاج الطبيب الخبير، الحكيم العليم بغرائز النفوس وظواهرها وخوافيها ، وأحاسيسها ومراميها ، علاجاً ناجعاً يجانب الإفراط والتفريط ، فإن فضيلة السخاء ترتكز على سماحة النفس بإنفاق المـال فيما يحمد من الأعمال ، فإذا لم يرتكز السخاء على ذلك ،

بل دفع إليه الرياء وحب الظهور ؛ لم يكن محمدة . وإذا ارتكز على القسر كالتبرعات التى يراعى فيها مجاملة من يخشى من الناس ، لم يكن فضيلة ، وإذا أنفق المال فيما لا ينبغى من الأعمال ، كان ذلك رذيلة .

والفضائل كثيراً ما تشتبه فى مظهرها بالرذائل فى مخبرها ، وكثيراً ما يلبس الشيطان على الناس الرذائل فيكسوها ثوب الفضائل ، فالتبذير قد يسميه بعض الناس كرما وسخاء ، والاقتصاد قد يسميه فريق منهم بخلا وشحاً .

والقانون الشرعى هو الذى يضبط الفضائل ، ويزيل عنها الخفاء والإلباس ، وقد بينت التعاليم الإسلامية حدود الفضائل حتى لا تلتبس بالرذائل ، ليسلم المجتمع من الشرور .

والقرآن الكريم أوضح هذا فقال « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً » .

فقد أمر الله بإعطاء الحقوق لأهلها ، كنفقة الزوجة والوالدين ، والأولاد وصلة الرحم ، وإعانة المساكين وأبناء السبيل ، ونهى عن التبذير فى هذا الإعطاء ، وجعل المبذرين إخوان الشياطين ، لأن المبذر مفسد لماله ، والشياطين مفسدون فى الأرض ، والشيطان بلغ الغاية فى كفران نعمة ربه ، وكذلك المبذر كافر بهذه النعمة ، لأن الشاكر من يصرف النعمة فيما خلقت له ، والكافر من يجحدها أو يصرفها فى غير ما خلقت له . ثم رسم لنا الطريقة المثلى فى الإنفاق ، وبين مضار التقتير والتبذير ، فقال « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

هذا هو الطريق السليم الذى يجب أن يسلكه العقلاء فى إنفاق المال : توسط فى غير تفريط ولا إفراط ، وقصد فى غير إسراف ولا بخل . ويقول القرآن الكريم فى هذا المعنى أيضا « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

هذه هى القنطرة التى أقامها الإسلام للنجاة من التقتير والتبذير . والسلامة من اللوم الذى يلحق البخيل ، والحسرة التى تلحق المبذر .

والإسلام حين راعى مصالح البشر المتشعبة المتكاثرة ، فطالب بإنفاق المال ، راعى مصلحة صاحب المال أيضاً ، لأن المال عامل من أهم عوامل إصلاح المجتمع ، فكلفه أن يرعى مستقبله ومستقبل ذريته وأقاربه من بعده .

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه أن يتبرع بماله كله صدقة فى سبيل الله ، فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، حتى عرض أن يتصدق بالثلث . فوافق الرسول على ذلك وقال « الثلث والثلث كثير . إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » .

والاقتصاد والقصد فى النفقة والمعيشة لاينافى السخاء . ولا يجافى الجود والكرم . ولا يتنافر مع البذل والإحسان ، ولا يشبه البخل والتقتير .

فالاقتصاد ادخار جزء من المال لاتدعو إلى إنفاقه مقتضيات الحياة . وذلك بقصد الانتفاع به عند الاقتضاء ، ومن المعلوم أن القصد هو التوسط فى الإنفاق ، وأن السخاء هو إنفاق المال فيما ينبغى من الأعمال ، وأن التبذير هو إنفاق المال فى غير حقه . أما الشح فهو إمساك المال حيث ينبغى الإنفاق . كمانع الزكاة . والمضيق على نفسه ، وأهله ، وقاطع رحمه من الاكرام ، ومانع بره عن المساكين ، والفقراء والأيتام ، وقابض يده عن التبرع لمشروعات الخير كانشاء المدارس والمصحات ، والمصانع وغيرها من معاهد الإصلاح ، التى تساعد على ترقية الأمة ، والترفيه على أبنائها ، فى حياتهم المادية والمعنوية .

والشح آفة اجتماعية خطيرة ، وخلق ذميم ، نهى الرسول عنه ، وبين ضرره قال « إياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم » .

وهذا تصوير رائع لضرر الشح ؛ فهو من أسباب التقاتل وإراقة الدماء .

واستحلال المحارم، والاعتداء على أموال الناس بالسلب والنهب والتلصص والاحتيال. والقرآن الكريم بين هذا المعنى فى كلمة جامعة إذ يقول «وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين».

والإنفاق فى سبيل الله باب واسع لبذل المال فى جميع أنواع الخير والبر. وإمساك المال عن ذلك مضيعة لمصالح الأمة، ومتلفة لمنافعها، ومهلكة لحياتها، إذ هو سبب حقد نفوس الفقراء على الأغنياء فيتربصون بهم الدوائر للاعتداء على أموالهم ودمائهم.

والآية الكريمة حين حثت على الإنفاق فى سبيل الله، وحذرت من التهلكة المترتبة على الإمساك، أمرت بالإحسان عند الانفاق، وهو مراقبة الله عند السخاء بالمال، فلا يقصد غير وجه الله، ولا يسرف ولا يقتر. فان الله يبغض المرائين والمسرفين والمقترين، ويحب المحسنين.

وهذا إغراء بالاحسان والسخاء أيما إغراء، فإن محبة الله غنم تتطلع إليه القلوب الطاهرة، وتتعشقه النفوس الصالحة. وقد عالج القرآن الكريم النفوس الشحيحة، لانتزاع داء الشح منها، منعاً لشره وتلافياً لضرره.

ولما كان منشأ الشح الحرص على المال، والخوف من الفقر، كما يزينه الشيطان للناس، عنى القرآن الكريم بذلك فأكد للأسخياء أن سخاءهم طريق لنماء المال، وزيادة الثراء، لا إلى الفقر والإملاق، فضلا عن الأجر الذى أعده الله لهم فى الدار الآخرة.

وذلك منتهى مايرجو المرء فى حياته ومعاده؛ قال تعالى «وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه»، وقال جل شأنه «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا»، وقارن بين وعد الله وتخويف الشيطان فقال «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا، والله واسع عليم».

هذان وعدان ـ أحدهما من رب كريم، والآخر من شيطان رجيم. فكيف

يؤثر عاقل وعد الشيطان على وعد الرحمن ؟! ومن هذا نفهم جليا مغزى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لايجتمع الشح والايمان فى قلب عبد » .

فالبخل خلق ذميم ، ينافى عمليا عقيدة الايمان ، ورذيلة من أشد الرذائل ضرراً بالمصالح العامة .

أما السخاء ففضيلة من أجل الفضائل . وحسبنا فى المقارنة بينهما قول الرسول صلى الله عليه وسلم « السخى قريب من الله قريب ، من الناس ، قريب من الجنة بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار » .

عبد الله المراغى
مدير قسم المساجد

الكلم الطيب

من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ؛ ويقول فى الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبين ، إن أعطى منها لم يشبع ، وإن منع لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أوتى ، ويبتغى الزيادة فيما بقى ، ينهى ولا ينتهى ، ويأمر بما لا يأتى ، يحب الصالحين ولا يعمل أعمالهم ، ويبغض المسيئين وهو منهم ، يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقيم على ما يكره الموت له ؛ إن سقم ظل نادما ، وإن صح أمن لاهياً ؛ يعجب بنفسه إذا عوفى ، ويقنط إذا ابتلى ؛ تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن ؛ ولا يثق من الرزق بما ضمن له ، ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ، إن استغنى بطر وفتن ، وإن افتقر قنط وحزن ؛ فهو من الذنب والنعمة موقر ؛ يبتغى الزيادة ولا يشكر ؛ يتكلف من الناس ما لم يؤمر ، ويضيع من نفسه ما هو أكثر ؛ ويبالغ إذا سأل ، ويقصر إذا عمل : يخشى الموت ، ولا يبادر الفوت ؛ يستكثر من معصية غيره ، ما يستقل أكثره من نفسه ؛ ويستكثر من طاعته ، ما يستقله من غيره ؛ فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ؛ اللغو مع الأغنياء ، أحب إليه من الذكر مع الفقراء ؛ يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ؛ وهو يطاع ويعصى ، ويستوفى ولا يوفى .

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الكريم

من سورة النور

« اللهُ نورُ السَّموات والأرْض مَثلُ نُورِه كَمِشْكَاة فيهَا مِصباحٌ، المِصبَاحُ في زُجاجة ، الزُّجاجةُ كأنَّها كوْكبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجرَة مُبارَكَة زَيتُونة لا شرْقيَّة ولا غرْبيَّة ، يكادُ زَيتُها يُضيءُ ولوْ لمْ تمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ علىَ نُور ، يهدِي اللهُ لِنُورِه منْ يَشاءُ ، ويَضرِبُ اللهُ الأمْثَالَ للنَّاسِ ، واللهُ بِكلِّ شَيء عليمٌ » .

الكلام على المعنى

« الله نور السموات والأرض » :

«الله» : علم على المعبود بحق ، بخلاف « الإله » فإنه يطلق على كل معبود .

«نور» : النور في اللغة : الضياء عند البعض . وفرق بينهما جمع فقالوا : إن الضياء هو المنتشر من النور ، والنور هو الأصل . واستدلوا بقول ورقة بن نوفل يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا

وقال الفلاسفة : الضياء مايكون للشيء من ذاته ، والنور مايفيض عليه من

مقابلة المضىء . وعلى هذا فسر الإسلاميون منهم قوله تعــالى : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا » ، قائلين إن القمر يستمد نوره من ضياء الشمس .

واستعمل « النور » فيما صح من المعانى ولاح ؛ يقال : كلام له نور ، أى له صحة . وكتاب منير ، أى صحيح المعانى ، واضح التراكيب . وفلان نور البلد ، وشمس العصر ، إذا ظهر قدره ، ووضحت آثاره وأعماله .

ومنه قول الشاعر :

فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

وإذا علمنا كل هذا نقول :

سواء أكان النور فى الأصل بمعنى الضياء ، أم بمعنى الكيفية الفائضة من الشمس على الأرض ، أم غير ذلك ، فإنه يستحيل أن يكون إلهاً ، لأنه لو كان إلهاً لوجب ألا يزول ، لامتناع الزوال على الله تعالى . ولأن هذا النور المحسوس يقع بطلوع الشمس والكواكب ، وذلك يستدعى الحدوث ، وهو على الله تعالى محال .

لذلك اختلف المفسرون فى المراد بالنور فى تأويل قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض » فقال بعضهم : المراد بالنور التدبير .

والمعنى : الله مدبر أهل السموات والأرض بحكمته الباهرة ، وقدرته العالية ، تدبيراً تقوم به شؤونهم أتم قيام ، وتصلح به أمورهم أكمل صلاح ، وتنتظم به أحوالهم أقوم انتظام . لكنه سبحانه وتعالى وصف نفسه بالنور تقريبا للأذهان ، كما يوصف الملك بأنه نور البلد ، أى به قوام أمرها ، وصلاح شأنها ، لجريان أموره على سنن السداد .

وقال بعضهم : المراد بالنور الهداية ، لأن النور سبب لظهور المبصرات ، والهداية سبب للاهتداء ، فصح إطلاق النور عليها مجازاً .

والمعنى : الله هادى أهل السموات والأرض بالأدلة التى بسطها للعالمين : من براهين عقلية وسمعية ، وأحكام صحيحة ، وإرشادات نافعة . تلك الأدلة المتجلية فى نفس الإنسان وذاته ، الماثلة فى أجرام السموات والأرض ، البادية فى أسرار الكون حيناً بعد حين ، الواضحة فى إرسال الرسل وإنزال الكتب ، والتى لفت القرآن أنظار البشر إليها فى غير آية ، فقال تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ، « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » ، « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ، « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته » .

وهذا القول عليه جمهرة المفسرين ، وسنسير عليه بإذن الله .

« السموات والأرض » :

إنما خص السموات والأرض بالذكر من بين المخلوقات الكثيرة ، لأنهما المخلوقان العظيمان اللذان يملآن القلوب روعة وجلالا ، وتنالهما المدارك حساً ومعنى ، وإلا فهو نور لجميع العالم مما غاب عنا ومما شاهدناه .

« مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار »

بيان وجه ذكر هذه الجملة :

بعد أن بين سبحانه وتعالى أن هدايته شاملة لأهل السموات والأرض ، ومتعدية لما غاب عنا وما بدا ، ذكر مثلا بين به أن دلائل الإيمان فى غاية الظهور ، ونهاية الوضوح . فجاء بهذه الجملة

ولبيان ذلك نقول :

« المثل » هو الصفة العجيبة التى لها شأن وفخامة .

« نوره » : المراد به الدلائل التي يقذف الله بها الاهتداء فى قلوب أصفيائه .

« المشكاة » : الكوة غير النافذة فى الحائط .

« المصباح » : السراج الضخم الثاقب كأن أصل أخذه من الصبح لشدة ضوئه

« الزجاجة » : القنديل الشفاف الصافى .

« الكوكب » : الجرم السماوى المضىء .

« الدرى » : قوى الضوء .

« الشجرة المباركة » : هى شجرة الزيتون ، والمباركة : النامية .

« لا شرقية ولا غربية » : أى لا شرقية فقط ولا غربية فقط . أى أنها ليست شرق شىء كجبل أو حائط يحجب عنها ضوء الشمس آخر النهار ، ولا غربى شىء كذلك ، يحجب عنها شمس أول النهار ، ولكنها شرقية غربية بادية للشمس على الدوام ، وفى ذلك كمال نضجها ، وجودة ثمرها ، وصفاء زيتها .

وقوله تعالى :

« يكاد زيتها يضىء ولم تمسسه نار » : وصف للشجرة يشتمل على المبالغة فى حسن الزيت وصفائه ، وجودته وخلوصه ، أى هو فى الصفاء والإنارة بحيث يكاد يضىء بنفسه من غير مساس نار أصلا ، لأن الزيت إذا كان صافياً خالصاً ثم رئى من بعيد ، يرى كأن له شعاعاً ، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوء .

ونقول : كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم ، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ، ونوراً على نور .

قال يحي بن سلام : « قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يبين له لموافقته له » ، وهو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » .

وإلى هنا تم تمثيل نور الهداية بنور المصباح فى الآية الكريمة .

وقد أبرز الله به نور الهداية على أكمل وجه وأشـــده ، وأقوى تصوير وأبرزه ، حيث ذكر المصباح واعتبره فى المشكاة لتكون أشعته مجتمعة ، وإنارته كاملة . واعتبر المصباح فى زجاجة صافية ليزداد بهاء . واعتبر وقود المصباح من الزيت الخالص ، لأنه يكسب الزيت قوة وإشعاعا . ثم اعتبر ذلك الزيت من شجرة شمسية على الدوام ، لأن زيتها حينئذ يكون أكثر إضاءة . وأقوى إنارة .

ولم يشبه الله تعالى تلك الهداية التى يهتدى بها العاقل ، ويصل بها المنصف ؛ بنور الشمس مع أنه أبلغ وأقوى ، وأسطع أسنى ، لأن تشبيه نور الهدى وسط ظلمات الشك التى تحيط بنفوس الكثير من الناس ، بالضوء الكامل الذى يلوح وسط الظلمة ، يكون أكثر موافقة وأشد انطباقاً .

ثم قال الله تعالى :

« نور على نور » :

(نور) خبر لمحذوف ، وذلك المحذوف ضمير يرجع إلى نور الهداية ، الممثل بذلك النور الحسى . والتقدير : هو نور على نور .

والمعنى : إن ذلك النور الذى بسطه الله للعالمين ، بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، ونصب الدلائل فى ملكوت السموات والأرض ؛ برهان بعد برهان ، وتنبيه بعد تنبيه ، وموعظة بعد موعظة ، ينتفع بها من أوتى سداد الرأى ، وسلامة العقل ، وصفاء الفطرة ، ونور البصيرة .

وليس المراد أنه نوران ، بل المراد أنه نور مضاعف ، يقوى كلما تأملته ، ويزداد كلما نظرت فيه :

فما أشبهه بقول القائل :

يزيدك وجهه حسناً إذا مازدته نظرا

وليست عماية بعض الناس الذين لم يبصروا هذا النور ناشئة عن نقص فى نفس النور ، ولكن منشـــأها نقص فى المدارك ، واعوجاج فى الفطرة ، وصدوف عن الحق ، وشموس عن الهدى ، وطمس فى البصـــيرة ، وظلام فى العقول .

ماضر شمس الضحى فى الأفق طالعة ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وكأن هذه الجملة خلاصة لوصف نور الهداية ، وتصويره بما سبق ، وهى أيضاً تمهيد لما ذكر بعدها من قوله تعالى :

« يهدى الله لنوره من يشاء » .

وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى بعد أن بين النور الإلهى بذلك البيان الأخاذ ، كأن سائلا قال : إذا كان النور الإلهى فى أمر الإيمان بهذه المثابة ، فما بال الكثير من الناس لم يستبصروا ، وضلوا سواء السبيل ؟ .

فكان الجواب بهذه الحقيقة الساطعة ، وهى أن المرجع النهائى إنما هو مشيئة الله وإرادته ، فمن يضلل الله فما له من هاد ، ومن يهد الله فما له من مضل ،

وليس فى إرجاع الأمر إلى مشيئة الله تعالى اقتلاع للاختيار الذى منحه الله للإنسان ، فإن الكافر ماكفر قهراً عنه ، ولكنه اختار الكفر على الإيمان . والمؤمن ماآمن مكرها ، ولكن نفسه اتجهت إلى اختيار الإيمان ، فكل عمل باختيار ، تنفيذاً لإرادة سابقة أزلية لايشعر بها الناس ، ولا يبنون عليها الأعمال .

غير أنه بعد حصول الشىء نعلم بالبرهان أنه ماحصل إلا بمشيئة الله ، ومن ضمن مشيئته أن يقع عمل الإنسان عن إرادة العبد ورغبته . وميله واختياره ، « وكل ميسر لما خلق له » .

قال عليه الصلاة والسلام : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » فمن كان

من أهل السعادة فهو ميسر لعمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فهو ميسر لعمل أهل الشقاوة .

وبناء على هذا يكون المعنى : يهدى الله هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتما من يشـــاء من عباده ، بأن يوفقهم سبحانه وتعالى لفهم الأدلة العقلية والسمعية التى نور الله بها الأرض ، وأضاء بها السماء ، على وجه فيه الفوز والفلاح ، والخير والنجاح .

ثم قال الله سبحانه وتعالى :

« ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم »

أى يذكر الله الأمثال للناس فى تضاعيف الهداية ، وتكرير الدلائل حسبما تقتضيه حالتهم ، وتتطلبه عقولهم ، ليبصرهم بما خفى عليهم باظهاره فى صورة ماعرفوا وما عهدوا ، حتى يتبين الأمر جلياً ، ويلتحق المعقول بالمحسوس ، ولا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

« والله بكل شىء عليم » من معقول ومحسوس ، وخفى وظاهر ، ونفوس تليق بها كرامة الهداية ، وأخرى تناسبها إهانة الغواية ، فهو سبحانه وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته ، وهو العليم بأفانين الهداية ، فيخاطب الناس بما ينفعهم ، ويحذرهم عما يضرهم . « فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما »

والله أعلم بأسرار كتابه ، وهو الهادى إلى سواء السبيل ؟

عبد الرحيم فرغل البلبنى
المدرس بكلية الشريعة

فى المولد النبوى الكريم

الكلمة التى ألقاها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الفتاح القاضى، فى الحفل الذى أقامه الاتحاد فى مسجد الإمام أبى عبدالله الحسين رضى الله عنه إحياء لذكرى المولد النبوى الشريف . .

إن مقياس نهوض الأمة ودليل رقيها ، هو معرفة قدر عظمائها ، والإشادة بذكر أبطالها ، تقديسا لهؤلاء العظماء . وفخراً ببطولة هؤلاء الأمجاد ، الذين خلد لهم التاريخ فى صحائف العظمة أعمالا جليلة مبرورة ، فكانت حياتهم مثلا أعلى لأممهم ، تطلب منهم التأسى بهم . وتتبع آثارهم ، وليس فى العالم أمة أعظم ثروة فى ميدان العظمة وساحة البطولة من الأمة الإسلامية .

ومن أعظم من محمد وهو المؤسس الأعظم لهذه الأمة الكريمة ؟ أجل : لاأحد أجل قدراً ، ولا أعظم أثراً ، فى العالم شرقه وغربه ، أرضه وسمائه ، من محمد ابن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه .

لقد أكرمه الله تعالى — وهو فى عالم الغيب — فصان أرومته من رجس الجاهلية ، وطهر عنصره من دنس السفاح ، ونظمه فى سلك من النسب ، كسلسلة من الذهب ، لاتجد فيه إلا لؤلؤة يتيمة ، أو جوهرة كريمة .

وما زال صلى الله عليه وسلم تتهاداه الأصلاب المباركة ، والأرحام النقية الطاهرة ، فيتنقل فيها تنقل البدر فى منازل السعود حتى أفضى إلى أنجب بنى عبد المطلب ، وزهراء بنى زهرة . فياطيب الآباء ، ويا كرم الأمهات !

وقد تخير الله تعالى لإبراز هذه الجوهرة الكريمة وإشراق هذا الضياء على الأرض ، شهر ربيع الأول ، فولد صلى الله عليه وسلم فى اليوم الثانى عشر ، مع الفجر منه إيذاناً بانقضاء ليل الشرك والجهالة ، وبزوغ فجر العلم والهداية . فأشرقت الأرض بنور ربها ، وطلع محمد على هذا الوجود مشرق الوجه ، أغر الجبين ، مليح الطلعة جميل المحيا .

وما زال صلى الله عليه وسلم ينمو ويترعرع ، محفوفا بعناية ربه ، محفوظاً من دنس الجاهلية ورجس الوثنية ، حتى شب مطهراً مما كان يقع فيه شباب هذا العصر ، معروفا بمكارم الأخلاق ، حتى سموه الصادق الأمين .

ولما أراد الله تعالى إنقاذ العالم مما هو فيه من أسباب الدمار والهلاك ، أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ، فاستجاب لنداء ربه ، وصدع بأمره غير هياب ولا وجل .

وهنا يتجلى أروع صراع سجله التاريخ بين الحق والباطل ، والنور والظلام ، فقد كان العالم قبيل بعثته صلى الله عليه وسلم ، مصابا بالفوضى فى جميع شؤونه وأحواله : فوضى فى عقائده وأخلاقه ، فوضى فى آدابه وعاداته ، فلم يكن للأسرة نظام ، ولا للقبيلة قانون ، ولا للأمة دستور ، ولا للعقيدة شريعة . إنما هى أحجار ينحتونها بأيديهم ثم يعبدونها ، وأشجار تأكلها النار أمامهم ثم يؤلهونها ، ونيران يوقدونها بأيديهم ثم تخمد وتصير تراباً يدوسونه بأقدامهم ثم هم أنفسهم يمجدونها ، وكواكب يصيبها الكسوف والأفول ثم يقدسونها . ومنهم من كان يعبد الملائكة أو الجن أو بعض المخلوقين . . .

أما أهل الكتاب فلم يكونوا أحسن حالا من العرب إذ ذاك ، فإنهم قد ضلوا وأضلوا وخرجوا عن أصل التوحيد ، واعتقدوا التعدد فى الإله . وغفلوا عن واجب التنزيه لله وشبهوا به بعض خلقه ، فقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله . ثم تطاعن الطائفتان وتلاعنوا ، فقالت اليهود ليست النصارى على شىء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شىء . وهم يتلون الكتاب . ولكن كتاب الله صار ألعوبة فى أيديهم ، يخفون منه كثيراً ، ويزيدون عليه كثيراً ، ويحرفون فيه كثيراً ، يطلبون بذلك عرض هذه الحياة الدنيا ، ويرجون من وراء هذا التغيير والتبديل حاجة فى أنفسهم من رياسة أو شهرة ، أو مال أو حظوة . « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا . . » فالعالم ضلال فى عقيدته ، لا فرق بين أمة وأمة ، ولا بين طائفة وطائفة ، إلا من عصم ربك ، وقليل ما هم . .

أما الأخلاق فلم تكن يومئذ إلا ملكات مهلكة تملأ الدنيا شراً وفتنة، فكبر وضعة، واستبداد وخنوع، وأثرة وذلة، وحقد واحتقار. أخلاق متناقضة متباينة، لكنها كانت فيما بينهم موزعة. فحكام يستعبدون الشعوب، وعلماء يستبدون بالجهال، وطبقات أشراف يسخرون العامة ويسخرون منهم، ورؤساء أديان يحتكرون وحي الله وشرعه، ويمنعون العامة أن يتفهموه، ولا يظهرونه لهم إلا بعد أن يغيروه ويحرفوه.

أما المرأة فما كان أسوأ موقفهم منها، وما كان أشقاها بهم. لم يكن لها عندهم أدنى احترام ولا أقل كرامة، بل كانت عندهم كالسلعة تباع وتشرى. وتوهب وتورث. وأكرهوا فتياتهم على البغاء يتجرن في أعراضهن ويأتين لهم بالمال وهن يردن العفاف، بل أمعنوا في ظلم هذا الجنس فاعتبروه مجرداً من خصائص الإنسانية، ووصلت الوحشية ببعض الناس إلى حد أنهم كانوا يدفنون بناتهم وفلذات أكبادهم على قيد الحياة خوفاً في زعمهم من الفقر أو العار.

تلك صورة مصغرة من حياة الجاهلية الجهلاء التي تركت الدنيا قبل نبي الإسلام ظلاما، وملأت العالم كله شراً وفتنة، لا تفرق بين عرب وعجم، ولا بين شرق وغرب. وإن اختلفت المظاهر وتفاوتت المناكر. ولكن الله تعالى أرحم بعباده من أن يتركهم فريسة لهذه الاضطرابات والفتن. وضحية لتلك العوادي والمحن. فبينما الكون كذلك في ظلماته الحالكة، ومظالمه المهلكة، إذا بالنور المحمدي لاح في العالمين فلاحه، وتنفس بعد طول الليل في الخافقين صباحه. ونادى منادي السلام والحرية أن قد آن أوان المبعوث برحمة الإنسانية، يملأ العالم عدلا وفضلا، ويكسو الكون خلقاً ونبلا، ويأسو جراح الإنسانية المعذبة برحمته، ويعالج أمراض النفوس السقيمة بحكمته، ويطب قلوب الناس بتعليمه وتهذيبه، ويداوي شذوذهم بسياسته وتأديبه، ويجاهد ويجالد حتى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفر هي السفلى. فكان مبعثه الفصل بين ماض زاخر بالمآثم، وآت حافل بالعظائم.

أطلق العقول من عقالها ، وبعث الحرية من قبرها ، ورفع النفوس البشرية إلى سماء العزة والكرامة ، وقضى على الوثنية القضاء المبرم ، ووضع للناس مبادىء التوحيد والعبادة ، ثم وصل بين القلوب بالمؤاخاة وعدل بين الحقوق بالمساواة ، ودخل بين الناس بالمحبة ، حتى شعر الضعيف أن جند الله قوته ، وأحس الفقير أن بيت المال ثروته ، وعرف الوحيد أن المؤمنين جميعاً إخوته ، ثم محا الفروق بين أجناس الإنسان ، وأزال الحدود بين مختلف الأوطان . فأصبحوا غداة غد يدينون بعقيدة واحدة ، وملة واحدة ، ويخضعون لإله واحد ، ويتجهون لقبلة واحدة . فتحولت الأمة العربية فى أقل من ربع قرن من ذل إلى عز ، ومن ضعف إلى قوة ، ومن عبودية مرذولة إلى حرية معقولة ، ومن وثنية بغيضة إلى توحيد خالص ، ومن انحلال وتخاذل إلى تعاون وتناصر .

فإذا كان المسلمون جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها يحتفلون بذكرى مولد هذا النبي الكريم ، فإنما يحتفلون بذكرى مولد كرائم الأخلاق ونبائل الخلال ، من إباء وشمم ، ووفاء وكرم ، وقوة إيمان وإرادة . يحتفلون بذكرى العدالة والمساواة ، ذكرى الصدق والأمانة والعفة والشجاعة ، يحتفلون بذكرى البطولة الخالدة ، والعظمة الباقية على مر الدهور والأعوام .

ونحن ـ اتحاد القراء ـ أحق من يحتفل بهذه الليلة العظيمة ، إذ كانت منة الله علينا ببعثة الرسول أوفر ، ونعمته أتم . فقد أخرجنا من الظلمات إلى النور ، وبه أورثنا الله القرآن الذى نقرؤه ، وعلمنا الآيات والحكمة . ونسأل الله الذى من علينا بحفظ كتابه أن يمن بفهمه والعمل بما فيه ، وأن يهدى الأمة إلى إقامة حدوده واتباع نوره ، فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول ، أيد الله ملكه ، وثبت عرشه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد الفتاح القاضى
المدرس بكلية اللغة العربية
وأحد أعضاء اتحاد القراء

مبتدعات القراء
فى قراءة القرآن الكريم

من حق القرآن على قرائه أن يلتزموا قوانينه التى نزل بها، وأمر الله بها رسوله الكريم، بقوله تعالى «ورتل القرآن ترتيلا»، وألا يحيدوا عنها إلى مااستحدثه أهل البدع والأهواء من أنغام وألحان، فقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال «اقرءوا القرآن بلحون العرب، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر، فإنه سيجىء أقوام من بعدى يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم».

وقد ابتدع القراء فى القراءة أشياء كثيرة، لا تحل ولا تجوز، لأنها تكون فى القراءة: إما بزيادة عن الحد الوارد، أو بنقص عنه، بواسطة الأنغام، التى اتبعوها لقصد صرف الناس إلى سماعهم، والإصغاء إلى نغماتهم.

فمن ذلك: القراءة بالألحان المطربة المرجعة، كترجيع الغناء، فإن ذلك ممنوع؛ لما فيه من إخراج التلاوة عن أوضاعها، وتشبيه كلام رب العزة بالأغانى، التى يقصد بها الطرب، وستأتى جملة من أقوال العلماء فى ذلك، فى باب خاص إن شاء الله تعالى.

ومنها: القراءة بالترقيص، ومعناه: أن الشخص يرقص صوته بالقرآن، فيزيد فى حروف المد حركات، بحيث يصير كالمتكسر الذى يفعل الرقص. وقال بعضهم: هو أن يروم السكت على الساكن، ثم ينفر عنه، مع الحركة، فى عدو، وهرولة.

ومنها: القراءة بالتحزين؛ وهو أن يترك القارىء طباعه وعادته فى

التلاوة ، ويأتى بها على وجه آخر ، كأنه حزين ، يكاد أن يبكى من خشوع وخضوع ، وإنما نهى عن هذا لما فيه من الرياء .

ومنها : القراءة بالترعيد ، ومعناه : أن الشخص يرعد صوته بالقرآن ، كأنه يرعد من برد ، أو ألم أصابه .

ومنها : القراءة بالتحريف ، وهو ما أحدثه الذين يجتمعون ، ويقرءون بصوت واحد ، فيقطعون القراءة ، ويأتى بعضهم ببعض الكلمة ، والآخر ببعضها الآخر ، ويحافظون على مراعاة الأصوات ، ولا ينظرون إلى ما يترتب على ذلك من الإخلال بكلام الله تعالى .

ومنها : القراءة باللين والرخاوة فى الحروف ، وكونها غير صلبة ، بحيث تشبه قراءة الكسلان .

ومنها : النقر بالحروف عند النطق بها ، بحيث يشبه المتشاجر .

ومنها : تقطيع الحروف ، بعضها من بعض ، بما يشبه السكت ، خصوصاً الحروف المظهرة ، قصداً فى زيادة بيانها ، إذ الإظهار له حد معلوم .

ومنها : عدم بيان الحرف المبدوء به ، والموقوف عليه ؛ وكثير من الناس يتساهلون فيهما حتى لا يكاد يسمع لهما صوت .

ومنها : إشباع الحركات بحيث يتولد منها حرف مد ؛ وربما يفسد المعنى بذلك .

ومنها : أن يبالغ القارىء فى القلقلة فى حروفها ، حتى يبلغ بها مرتبة الحركة .

ومنها : إعطاء الحرف صفة مجاورة ، قوية كانت أو ضعيفة .

ومنها : تفخيم الراء الساكنة ، إذا كان قبلها سبب ترقيقها .

ومنها : إشراب الحرف بغيره .

ومنها : إشباع حركة الحرف ، الذى قبل الحرف الموقوف عليه .

ومنها : تحريك الحروف السواكن كعكسه .

ومنها : زيادة المد فى حروفه ، على المد الطبيعى بلا سبب .

ومنها : النقص عن المد الطبيعى فى حروفه ، لكن هذا النقص أفحش من

تلك الزيادة ، لأن الزيادة قد عهدت ؛ وذلك إذا وجد السبب وارتفع المانع ، بخلاف النقص فانه لم يعهد فى حالته أصلا .

ومنها : المبالغة فى إخفاء الحروف بحيث يشبه المد .

ومنها : ضم الشفتين عند النطق بالحروف المفخمة المفتوحة ، لأجل المبالغة فى التفخيم .

ومنها : شوب الحروف المرققة شيئا من الإمالة ، ظنا من القارىء أن ذلك مبالغة فى الترقيق .

ومنها : الإفراط فى المد ، زيادة عن مقداره ، لأن المد له حد يوقف عنده ، ومقدار لا يجوز تجاوزه ، ومذاهب القراء فيه معينة .

ومنها : مد مالا مد فيه كمد واو « مالك يوم الدين » وصلا ، وياء « غير المغضوب عليهم » ، لأن الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما كانا حرفى لين ، لا مد فيهما ، ولكنهما قابلان للمد عند ملاقاة سببه ، وهو الهمز أو السكون .

ومنها : تشديد الهمزة ، إذا وقعت بعد حرف المد ، ظناً منه أنه مبالغة فى تحقيقها وبيانها . نحو « أولئك » و « يأيها » .

ومنها : لوك الحرف ، ككلام السكران ، فانه لاسترخاء لسانه وأعضائه بسبب السكر تذهب فصاحة كلامه .

ومنها : المبالغة فى نبر الهمزة ، وضغط صوتها ، حتى تشبه صوت المتهوع ، وهو المتقيء .

هـــذه مآخذ يقع فيها كثير من القراء ، جهلا أو تساهلا ، وهى منافية لقوانين الأداء ، موجبة للإثم ، وغير لائقة بقداسة كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وإن من واجبنا أن نذكر القراء بنعمة القرآن عليهم ؛ ونحذرهم من الوقوع فى هذه المآثم ؛ حتى لا يسلبهم الله نعمته . وننصحهم أن لا يجعلوا همهم إرضاء الناس عنهم ، فالله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين . نسأل الله التوفيق لما فيه رضاه .

علي محمد الضباع

الضمير الانسانى
بين الاسلام والمدنية الحديثة

يلاحظ كل إنسان فى أعماق نفسه ، وذات سريرته ، أن هناك قوة تحذره من فعل الشر ، إذا أغرى به ، وتحاول أن تصده عن فعله . فإذا هو أصر على عمله ، وبدأ يرتكبه ، أحس عدم الارتياح أثناء الفعل ، لعصيانه تلك القوة التى فى باطنه . حتى إذا أتم العمل ، أخذت هـذه القوة توبخه على الإتيان به ، وأخذ هو يندم على فعله .

كذلك يحس أن هـذه القوة تأمره بفعل الواجب ، فإذا بدأ عمله شجعته على الاستمرار فيه ؛ فإذا ما انتهى منه ، شعر بارتياح وسرور ، وبرفعة نفس ، واطمئنان قلب .

هذه القوة الآمرة الناهية هى : « الضمير » .

عرف « ماكنزى » العالم الإنجليزى الكبير « الضمير » « بأنه الشعور بالسرور أو الألم ، وبخاصة الشعور بالألم الذى يصحب الخروج والتعدى على قانون من قوانين الدولة المعترف بها » .

وعرفه « ويلتون ، وبلاند فورد » فى كتابهما : « أسس الأخلاق ومناهج التمرين عليها » : « أن الضمير هو القاضى ، الذى يقاضى المرء على عمله ، كما أنه مصدر المكافآت والعقوبات ، ومنظم السلوك ، ومقوم الاعوجاج ، وأنه لا يمكن مخالفة ما يمليه على صاحبه ، إلا بثمن ، أقله موت الروح الأدبى ، والقضاء على الحياة بالإهانة والتحقير » .

ويقول « مناندر » الشاعر اليونانى الذى عاش قبل المسيح بثلثمائة عام :

« الضمير هو تلك القـــوة النفسية ، التي يصح أن تسمى الغريزة الدينية ، وأول ما تبدو هذه الغريزة حينما نشعر بحرب فى صدورنا ، بين الميول العليا ، والميول السفلى ، أعنى بين الروح والمـادة ، بين الخير والشر ، لتغلب الأول على الآخر ، فهى حرب حيـاة أو موت . وهذا الشعور هو منبع الديانة ، تلك الشريعة العليا ، التى تسمو بالنفوس إلى إله فرد لا يزال أننا من الضمير رقيب على تـكاليفه ، وصادع بأوامره » .

فالدين إنمـــا بنى على محاسبة النفس . إذ يفضى المرء ببصره إلى أعماق سريرته ، فيرى ما هنالك من جهـاد بين النفس والشيطان ، وهو الذى سماه الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « الجهاد الأكبر » فيصبح من أمر نفسه على بينة ، ثم تفضى به معرفة نفسه الى معرفة خالقه « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . وبذلك يميز المـرء بين الحق والباطل ، ويظل بالخيـار بين الخبيث والطيب . ومن ثم تقع عليه المسئولية ، ويناقش الحساب .

فالذين لا دين لهم يردعهم ، ولا يعرفون شريعة تخضعهم ، أولئك يجرون فى عنان الشهوة ، ويركبون مطية الهوى ، ولا يصـــدرون فى أعمالهم إلا عن باعث من الأثرة وحب النفس ، ثم هم يعلمون أنهم على خطأ ، ولا يبرءون من لذع ضميرهم فى نصب ، والوازع الطبيعى يصرخ فى باطنهم ، ولـكن سلطان الهوى ، وضعف قوة المقاومة ، لقلة الرادع الدينى ، وما نجم بين هذا وذاك ، من طول معاودة المنـكر ، قد فل من شبا عزيمتهم ، حتى لا طاقة لهم بمقاومة الشهوات . عند ذلك يصبح الإثم عادة لهم ، وما ختم به على قلوبهم ، وطبع به على أفئدتهم ، يدفعهم إلى شر أكبر . وهـذا هو معنى ما ذكره القرآن الـكريم من الطبع على الأفئدة ، والختم على القـــلوب ، وما سماه فى موطن آخر بالران .

قال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » . وقال تعـالى فى وصف اليهود بموت الضمير ، وإقفال القلوب ، بسبب تماديهم فى الباطل ،

وعكوفهم على الشر ، وإمعانهم فى المعصية : « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم ، فلا يؤمنون إلا قليلا » .

وقال تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » . غلب على قلوبهم كسب الذنوب كما ترين الخمر على عقل السكران ، وغشت الخطايا أفئدتهم حتى حجبتها عن الفهم ، وصدتها عن الادراك .

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت فى قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن عاد زادت حتى تعلو قلبه. فذلك الران الذى ذكره الله تعالى فى القرآن » .

وإن الثابت فى علم النفس أن الإنسان إذا ارتكب أمراً من الأمور أو فكر فكرة ما ، كون ذلك الأمر أو تلك الفكرة أثراً فى النفس ، واتخذ له مجرى معينا فى الأعصاب والمخ ، وكلما تكرر العمل أو الفكرة تعمق الأثر فى الأعصاب ، واتسع المجرى ، وألف الإنسان العمل أو الفكرة حتى تصبح السيئة عادة ، والفكرة المجرمة أو الطيبة ، طبيعة وخلقاً .

ولكى يظل الضمير متيقظاً ، والوجدان سليما ، حث القرآن الكريم على الالتجاء إلى الذكر ، والمداومة على الادكار ، فقال تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » وقال تعالى « واذكر ربك إذا نسيت » ، « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على مافعلوا ، وهم يعلمون » وأقسم الله سبحانه بالنفس اللوامة تكريماً لها ، وتنويهاً بشأنها ، وهى التى تلوم نفسها ، وإن اجتهدت فى الاحسان . بل فى الاسلام ما هو أبلغ ، فقد اعتبر الاسلام اطمئنان الضمير حكما ، ورضا القلب قاضيا . فحذر صلى الله عليه وسلم ، المسلمين من الاغترار بقضاء القاضى ، والاتكال على فتوى المفتى ، إن خالف الواقع وجانب باطن الصواب . بل يجب الرجوع إلى الضمائر تستفتى ، وإلى السرائر تستشار ، فحكمها أصح ، وقضاؤها أحق . وهنا يمتاز الاسلام عن المدنية الحديثة فى تربيته ، ويفارق القوانين الوضعية فى شرائعه . فإن المدنية الحديثة

تكتفى بالظواهر، وتعتمد على الأشكال، وتقتنع بغفلة الرقيب، وضلال القاضى.

أخرج الإمام أحمد والدارمى عن وابصة بن معبد قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: جئت تسأل عن البر؟ قلت نعم. قال: استفت قلبك. البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك».

أخرج مالك وأحمد والستة عن أم سلمة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلى، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضى له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هى قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها».

وقد حاول بعض الباحثين من المستشرقين «الغض من القيم الأخلاقية للإسلام فقالوا بخلوه من الفكرة الأخلاقية، التى يسمونها الضمير، واستدلوا على ذلك، بأن اللغة العربية نفسها، خالية من هذه الكلمة، وهى الضمير، بمعنى العاطفة الخلقية، والوازع الخلقى النفسى، ولكن المستشرق جولدتسيهر قد تولى تفنيد هذا الرأى فقال «حرى بنا أن نجعل للحكم أو المثل الأخلاقية والمبادىء الإسلامية التى ينعكس عنها الفهم أو الإدراك الأخلاقى — كما هو الشأن فى الإسلام — حرى بنا أن نجعل لذلك قوة أعظم من تلك التى نعزوها لكلمة، أو نسندها لتعبير فنى، أو نستنبطها من وضع لغوى. ففى كثير من تلك الحكم التى جاء بها الإسلام، أو المبادىء التى تضمنتها أحكامه. إشارة إلى كلمة «الضمير»، إن لم تكن بلفظها ونصها، فهى بروحها ومدلولها» (١).

تقوم الأسس الأخلاقية فى الاسلام على مراقبة القلب للخالق، وإشعار النفس بأن هناك مطلعاً على الغيب، خبيراً بالخطايا، عليما بذات الصدور. «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر، إلا هو معهم أينما كانوا، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة، إن الله بكل شىء عليم». «يعلم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور».

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام ص ٢٠

أما المدنية الحديثة ، فتقوم الأسس الأخلاقية فيها على الخوف من رقيب ظاهر يراها ، أو قانون وضعى يعاقبها . فإذا ما استطاع الانسان أن يفلت من سيطرة القانون ، بقوة حيلته ، أو يروغ من الرقيب بسعة دهائه ، فلا تثريب عليه ولا لوم ، ولا تبعة ولا عتاب .

وتبنى تربية الضمير فى الاسلام على المحافظة على يقظته ، والبعد به عن مواطن الشبه التى تضعضعه . فالحيطة خير من العلاج ، لذلك نهى عن التحدث بالفواحش ، والافتخار بالفحشاء ، والمجاهرة بالسيئات ، لتسلم لذوى الضمائر ضمائرهم . وتحفظ لذوى السرائر الطاهرة طهارتهم .

أما المدنية الحديثة فترى المجاهرة بالفحش حرية ، والاعلان بالرذيلة مدنية .

روى البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل أمتى معافى إلا المجاهرين، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ؛ ثم يصبح وقد ستره الله عليه ، فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره الله ، ويصبح يكشف ستر الله عنه »

من المباحث النفسية التى شغلت قدماء الباحثين ومحدثيهم ، البحث فى منشأ الضمير ، أو كما يسمونه العاطفة الخلقية ، أو الشعور بالواجب ، فقد تساءل هؤلاء : هل هو طبيعة فطرية ، أو مكتسبة بالتربية والتجارب ؟

والرأى الذى يراه المحدثون من علماء النفس ، أن الضمير عاطفة خلقية مكتسبة ، على أن لها أساسا غريزيا فطريا .

وهذا الرأى مصداق قوله تعالى « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » . وقوله تعالى « وهديناه النجدين » . وقوله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين ، والحرام بين »

عبد الوهاب حموده

ميلاد الرسول

عليه الصلاة والسلام

صبح الهداية بالفرقان قد طلعا وضوء غرتها فى العرب قد نصعا
بمولد المصطفى طه ومشرقه محمد خير من لله قد ركعا
فى ليلة ريع فيها الفرس ماخمدت نيرانهم وكذا الإيوان قد وقعا
فزلزل الكفر واندكت قوائمه وكوكب الحق والإيمان قد سطعا
ما إن أهلَّ عليهم بالهدى قمراً وبدرَ تم على أقرانه ارتفعا
حتى تحلَّوا بكل الفضل واتحدوا وبان عنهم ظلام الليل وانقشعا

نالت به مكةٌ عزاً ومفخرةً والطير فى يثرب بالبشر قد سجعا
وملء زمزم إيذانا بمولده روَّى العطاش وعنه الملح قد نزعا
وراح عن كعبةٍ كيد ألمَّ بها والفيل عن هدمها بالخزى قد رجعا
وروَّع اللات والعزَّى وأختهما مناة أن آن للمفتون أن يدعا
وطهر البيت فيها بعدُ من دنس والحق ياصاح للبطلان قد صرعا

جاء البشير بطـه صائحاً غَرِداً بأن غيث الهدى فى الكون قد همعا
يقول آمنةٌ ياقوم قد هنئت بمفردٍ فى سماء الحسن قد برعا
تُنبي ملامحهُ عن أنه بشرٌ على التقى والهدى والخير قد طُبعا

فادعوا حليمة إن المجد صادفها   وَفَىَ إليها الذى قد كان ممتنعا
لتملأ الأرض من تيهٍ ومن طربٍ   بابن الذبيح الذى من ثديها رضعا

كل القبائل من قحطان قد سعدوا   وغاب عنهم عناء الخلف وانقطعا
كانت قلوبهمو كالصخر ماجزعت   للمؤلمات وماق العين مادمعا
فأصبحوا وحدة ساد الوئام بها   على الدوام وعار الوأد قد بشعا
هـذا كمو عمرٌ أضحى لنا مثلا   فيمن تأثر بالإسلام وانتفعا
ذاك الذى ليس فى الكفار من بطل   فى الجاهلية إلا منه قد فزعا
سرعان ماغيرَّ الإيمان خطته   مع الرسول وعنه الشر قد دفعا

وَذى قريش علت قدراً ومنزلةً   لما الإله لهذا الدين قد شرعا
دينٌ ترى كل من يسعى لنُصرته   بين السعادة للدارين قد جمعا
دينٌ سَداه الهدى والبرُّ لحمته   طوبى لمن بسنا أعماله صدعا
دينٌ به الجن بالإيمان قد شعروا   لما أتى وفدهم للذكر مستمعا
دين من النور والعرفان مصدره   ومن عيون الهدى والرشد قد نبعا
شعاره لفظة التوحيد يصحبها   صفاء قلب لكل الخلق قد وسعا

لله ذكرى ليالٍ فى العلى صعدت   وزهر آثارها فى الكون قد ينعا
فى غُرةِ الوجهِ منها وهى ليلتنا   ميلاد طه الذى للعرب قد رفعا
فأصلح القوم واشتدت سواعدهم   وللمبادىء عند رب الورى وضعا

ذكرى بأشرف غايات وأكرمها · في الذكريات إذا ماحادثٌ قرعا
ذكرى بها دائماً للعالمين هدًى · وللجزيرة مجدٌ ليس منتزعا
جزيرة كان دأبُ المشركين بها · حبُّ الظهور على الأقران والجشعا
سلطانها عزَّ حتى أصبحت عاما · وملك كسرى لهامن بعد قد خضعا

أهلاً بذكرى نبيٍّ ذاد عن وطن · بدا لساكنه البرهان فاقتنعا
وجاء يسعى إليه مولعاً فرحا · يخشى الإله وفى الغفران قد طمعا
يبغى المثوبة منه وهو ذو أمل · لو أن طه له فى الحشر قد شفعا
صلى عليه إلهى كلما سطعت · شمس الضحى بهدى الاسلام فاتسعا
والآل والصحب من كانوا سواسية · كذاك من عاشر المختار أو تبعا

عبد الرحمن على حسين
مدرس أول بالمدارس الثانوية سابقاً

من شمائل المصطفى

زانتك فى الخلق العظيم شمائل · يغرى بهن ويولع الكرماء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى · فالكل فى حق الحياة سواء
فلو ان إنساناً تخير ملة · ما اختار إلا دينك الفقراء

حسن البيان
فيما تشابه من آى القرآن

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فأزف تهنئتى لأهل القرآن ، بكنوز الفرقان ، وأستعين الله فى إتحاف قرائه بحسن البيان فيما تشابه من آى القرآن ، مبينا وجه الاستدلال فى ذلك من المنقول والمعقول ، والله حسبى ونعم الوكيل ،

قال الله تعالى « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ؛ فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا : وما يذكر إلا أولو الألباب » .

سبب نزول هذه الآية : أن وفداً من نجران جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : ألست تزعم أن عيسى كلمة الله وروح منه ؟ قال نعم ، قالوا حسبنا ذلك . يريدون أن هذا يحقق غرضهم فيما يدعون من أنه إله أو ابن الإله . .

مناسبة الآية لما قبلها : لما ذكر فى الآية السابقة توحيد الله مدعماً بدليلين : سعة العلم ، وعظم القدرة ، وأشار إلى الأول بقوله « إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء » ، وإلى الثانى بقوله « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء » ، وأبرز النتيجة بقوله « لا إله إلا هو العزيز الحكيم » - ذكر هذه الآية وبين فيها أن الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قسمان : محكم ومتشابه .

المحكم : مشتق من الإحكام ، وهو الإتقان ، وفى قوله تعالى « كتاب أحكمت آياته » ، أى أتقنت ، ونظمت ، وحفظت من النسخ والتغيير .

والمراد بالآيات المحكمات هنا : التى دل لفظها على معناها ، دلالة واضحة ، لا لبس فيها ولا غموض ، كالبحر الزاخر ، والبدر المنير ، فكما أن البحر يرتشف منه الشارب قليلا من الماء ، ويغوص الغواص فيستخرج منه الدر واللآلىء . فكذلك آيات الكتاب ، شراب روحى للسامع ينتعش بها فؤاده ، ويحيا بها قلبه ، ويحس بلذته من وراء الحجب . ويأتى المجتهد فيستخرج منها أحكاما فقهية ، ومعانى دقيقة ، وفوائد رقيقة ، وكما أن البدر يهتدى به صاحب البصر القليل ، وذو البصر الجليل ، كل بقدر ما أبصر ، كذلك القرآن تستنير به البصائر ، وتهتدى به الألباب ، كل بقدر ما منحه الله من البصيرة .

المتشابه : يطلق على مشابهة البعض للبعض كما فى قوله تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً » ، أى يشبه بعضه بعضا فى كمال البلاغة والإعجاز ، وحسن الهداية والإرشاد . والمراد به هنا : لفظ لم تتضح دلالته على معناه ، أى لا يؤخذ معناه من لفظه بسهولة ، بل لابد من إعمال فكر وروية وتدقيق نظر ، حتى يستخرج المعنى الدقيق ، والفهم الأنيق ، من اللفظ الرقيق .

وانقسم الكتاب إلى هذين القسمين ، لأن اللفظ العربى إما حقيقة أو مجاز ، والتبادر علامة الحقيقة ، وكلما خفيت القرينة والعلاقة ، كلما دق المعنى ورق اللفظ ، فأما الذين فى قلوبهم ميل عن الحق إلى باطل الهوى فيتعلقون بالمتشابه ابتغاء تضليل الناس وصرفهم عن دينهم ، والزج بهم فى ظلمات الكفر والإلحاد ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا ، وليس ذلك بتأويل ، ولكنه تحريف ، وسمى تأويلا مشاكلة .

وربما قال قاصر : هلا كان القرآن كله محكما تحصل به الهداية ؟ ونحن نقول له : إن القرآن نزل بالأسلوب العربى وهو حقيقة ومجاز ، فورود المتشابه فى القرآن

قاطع للشبهة ، وبرهان ساطع على بلاغته « يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ، وما يضل به إلا الفاسقين » . تمسكت طائفة بظاهر المتشابه فقالوا : إن لله وجها ويداً ونزولا وهم المجسمة ، فضلوا وأضلوا ، وقال السلف : له وجه ويد ، لا كالأوجه ولا كالأيدى ، فاهتدوا ونجوا ، وتلك من غرائب القرآن .

واختلف العلماء فى تأويل المتشابه ، فنهم من قال : لا يعلمه إلا الله ، ولهذا أوجبوا الوقف على لفظ الجلالة ، فهما منهم أن المتشابه ما استأثر الله بعلمه . وعندى أن المتشابه متفاوت . فنه ما استأثر الله بعلمه ، ومنه ما يعلمه خواص العلماء الراسخون فى العلم ، وهم الأتقياء المخلصون فيما بينهم وبين الله ، المتواضعون فيما بينهم وبين الناس ، الزاهدون فى الدنيا وإن ملكوها ، المجاهدون لأنفسهم ، ومع علمهم هذا يقولون : آمنا به كل من عند ربنا .

أى كل من المحكم والمتشابه من عند الله يجب الإيمان به ولا يقطع بإصابة الحقيقة فى العلم ، بل لايدرى كنه الحقيقة إلا الله تعالى ، وما أخذنا منه إلا رشفا كما يرشف العصفور من البحر ، وفوضنا لله ما وراء ذلك . وهذا الصنف من العلماء ، لصفاء نفوسهم وطهارة قلوبهم ، يتلقون العلم من علام الغيوب .

وقد مدحهم الله بقوله : « وما يذكر إلا أولو الألباب » أى أصحاب العقول السليمة ، والأفكار الحكيمة ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وذلك الفوز العظيم ؟

فهيم سالم الملجى
المدرس بمعهد القاهرة

العمل بالعلم

قيل للمهلب بن أبى صفرة : بم أدركت ما أدركت ؟ قال : بالعلم .
قيل له : قد علم غيرك أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت .
قال : ذاك علم حمل ، وهذا علم استعمل .

من رجال القرآن

سيد بدراوى عاشور باشا

— ١ —

كان صباحاً ضاحكا ، تشع الحياة فيه نشاطا ، وبخاصة حياة قسم المساجد بوزارة الأوقاف المصرية ، حيث تتخذ الأهبة لصلاة جلالة الملك فريضة الجمعة القادم .

ففريق يقوم بإعداد الخطبة ، وتفهيم الإمام التعليمات التى تلتزم فى هـــذه المناسبة ، وفريق آخر يهيء بطاقات الدعوات لطبعها بعد مراجعتها ، وفريق ثالث يتصل بين الفينة والفينة بالجهات المختصة لتلقى الأوامر وإصدار التعليمات .

والمدير ووكيله والمفتشون والكتبة فى حركة دائمـــة ليس لهم شغل إلا تنظيم الحفلة وإعداد المسجد .

وعلى غير انتظار دخل مكتب مدير المساجد ، رجل ضخم لحم ، وسط فى سنه ولونه ، هادىء فى سيره ، ينظر فى داخل نفسه ، أكثر من خارجها ، لايهمه أن تتجه إليه أو تنأى عنه ، ويتوكأ على عصا غليظة ، ليست بذات منظر ، ولها مقبض براق كعصى العظماء والكبراء .

وحين جهر بالسلام ، استلفتنا جميعاً إليه ، بصوته الغليظ الجهورى ، فهب المدير والجميع وقوفا إليه ، وأقبلوا يسلمون عليه ، ثم جلس الجميع .

* * *

وقف الكاتب يعرض على المدير نص بطاقة الدعوة للمرة الأخيرة ، وبعد أن مر هذا بنظره عليها مراً سريعاً ، شك فى التاريخ الهجرى الذى دون بها . . فتساءل فى سرعة : ما يومنا هذا من الشهر العربى . . ؟

وأخذ الجميع من علماء وغير علماء دهشة ... أين هم فى يومهم هـذا من الشهر العربى ؟ ! وهرول أحدهم إلى نتيجة الحائط .

وكانت فترة اضطراب غريبة سادت الحجرة ، وعلت الوجوه سمـات الاضطراب والارتباك ... أين نحن الآن من الشهر العربى !!!

وإذ ذاك قطع الضيف الكبير حبل الصمت بجوابه :

نحن فى اليوم الثالث والعشرين من الشهر العربى . وما إن أتمها حتى تجاوبت الأصوات مؤمنة على صدقه . .

وكنت إلى جانبه قريبا ، فانحنيت فى هدوء أسأله باسما : هل لى أن أعرف من سيدى الباشا السبب فى معرفته بالتاريخ العربى ، قبلنا نحن العلماء وموظفى قسم المساجد بصفة خاصة . . ؟ !

فابتسم الباشا وأجاب : هذا شىء خاص يا بنى ... فعاودت الرجاء بتلطف ، فاستجاب وأخذ يحدثنى فى سريرة قائلا ...

لى عليك أن لا تحدث لى ضجة هنا حول إجابتى :

إننى يا بنى أصطبح حياتى اليومية بعد الصلاة ، بتلاوة جزء من كتاب الله العزيز ، ليفتح الله على من رحمته وبركته طوال يومى كله ، وقد قضيت سنى حياتى على هـذا العهد بينى وبين الله ، أختتم القـرآن فى كل شهر مرة ، أبدأ أول يوم بأول جزء ، وأنتهى آخر يوم بآخر جـزء ، وإذا كان تسعة وعشرين يوما ضاعفت قراءتى يومها ليضاعف الله أجرى ، ولأختتم القرآن كعادتى .

فلما تساءل المدير عن يومنا من الشهر العربى ، ووجـدت الموقف يستدعى أن أتكلم ، تذكرت أننى قرأت اليوم جزء (يس) . تـكلمت كما لو كنت « مخمنا » فقط » ، ستراً من الإعلان عن نفسى ، ولكنك ألححت على .. !

* * *

ومن يومها ، وأنا أعرف أن سيد باشا البدراوى ليس رجل المال العريض الواسع ، بقدر ما هو رجل القرآن الكريم المبارك ؟

اسماعيل السعراوى